

الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي ودوره في تأسيس نظام العزابة (345 - 440هـ/956 - 1048م)

قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة طرابلس - ليبيا

أ. وفاء عوض سليم

مستخلص:

يركز هذا البحث على دراسة شخصية من شخصيات الفكر والعلم في العصر الإسلامي الوسيط ألا وهو الشيخ النفوسي أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، من خلال عرض لسيرته الذاتية، إضافة إلى جهوده العلمية ورحلاته في طلبه العلم، وأهم العلوم التي أخذها من عدة علماء في مناطق مختلفة، ثم جلوسه للتعليم في الحلقات حتى وصوله لوضع نظام العزابة الذي كان بديلاً عن الدولة، وهو بمثابة نظام تربوي واجتماعي وفكري وسياسي. وما سيتم التركيز عليه أيضاً إبراز دوره في وضع قوانين هذا النظام الذي أثنى عليه علماء الماضي والحاضر و صنفوه من الإنجازات الفكرية عبر القرون. ومما يحز في النفس فقد نسب البعض الشيخ الفرستائي لمناطق أخرى، واعتبروه من علمائهم، ويفتخرون بما قدمه، لذا فمن واجبنا التعريف به وبأنه عالم من علماء ليبيا، وبأعماله بشكل موسع، عن طريق دراسات منهجية معمقة عنه وعن باقي الأعلام عبر مصنفات تُحفظ للأجيال، وذلك بالبحث عن المخطوطات والوثائق القديمة التي كتبت عنه، والتي قد تكون في غياهب خزائن مجهولة، وحتى لا تكون في طي النسيان يتوجب الوصول إليها والاستفادة منها لتتال هذه الشخصية وغيرها نصيبتها من البحث والدراسة.

Sheikh Abu Abdullah Muhammad bin Bakr Al-Farsta'i and his role in establishing the celibacy system.

(345 -440 AH / 956- 1048 AD),

A. Wafaa Awad Salim - History Department/ Faculty of Arts/ University of Tripoli

Abstract:

This research focuses on a personal study of one of the personalities of thought and science in the medieval Islamic era, namely, Sheikh: Al-Nafusi Abu Abdullah Muhammad bin Bakr Al-Farsta'i, through a presentation of his biography, in addition to his scientific efforts and his

travels as students of knowledge, and the most important sciences that he took from several scholars in different regions, then he sat to teach in the circles until he arrived to establish the system of celibacy, which was an alternative to the state, and it is an educational, social, intellectual and political system. What will also be focused on is highlighting his role in setting the laws of this system that scholars of the past and present have praised and classified as intellectual achievements over the centuries. It is saddening that some have attributed Sheikh Al-Farsta'i to other regions, and considered him to be one of their scholars, and they are proud of what he presented, so it is our duty to introduce him and that he is a scholar of Libya, and his works extensively, through in-depth systematic studies about him and the rest of the notables through compilations that are preserved for generations, and that By searching for ancient manuscripts and documents that were written about him, which may be hidden in unknown vaults so as not to be forgotten.

المقدمة:

ظهر في المغرب الإسلامي شيوخ وعلماء تحملوا مسؤولية مجتمعاتهم على الصعيد الديني والاجتماعي والثقافي، وقد ترك شيوخ الإباضة آثاراً وبصمات في الجانب السياسي والاجتماعي والعلمي؛ إذ انتشر المذهب الإباضي مع بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي واتسع نطاقه المكاني، واستطاع علماءه تأسيس أول دولة إسلامية في تيهرت، تميزت بالتسامح والتعايش السلمي بين جميع رعاياها من مختلف المذاهب سواء مسلمين أو ذميين. وبعد سقوط الدولة الرستمية تعرض الإباضية عدة محاولات لطمس هويتهم المذهبية، ولكن قبض الله لهم الشيخ أبو عبد الله الفرستائي ليضع أسس نظام يحفظ المذهب من الزوال، والمجتمع من الاندثار. فمن خلال هذه الورقة سيتم تسليط الضوء على علم من علماء جبل نفوسة، وجهوده الفكرية والإصلاحية التي قام بها وأسس عليها نظام العزابة. وقد قسمت هذه الورقة إلى ثلاث محاور رئيسية:

- التعريف بالشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي.
- نشأة نظام العزابة.
- دور حلقة العزابة في تنظيم المجتمع الإباضي. ومهام أعضاء هذا النظام.

الشيخ أبو عبد الله محمد الفرستائي (نسبه، وحياته، ورحلته لتلقي العلم):

هو أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي، ولد بمدينة فرسطاء⁽¹⁾ - الواقعة على جبل من جبال نفوسة شرق مدينة كاباو والتي تتبع نالوت - سنة (345هـ/956م)⁽²⁾. أما والده بكر بن يوسف الفرستائي شيخ وعالم وفقه من فرسطاء، من عائلة اشتهرت بالعلم والتقوى والصلاح، فأبوه وجده من علماء نفوسة المشهورين، فقد احتوت كتب الفقه أقوالاً لهما في مسائل مختلفة⁽³⁾. وذكر الشماخي: «ودارهم معدن العلم قديماً من أبيه وجده وجد جده...»⁽⁴⁾.

عاش الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر بجبل نفوسة فترة من الزمن، وكانت زوجته عائشة من بني ينجاسن، وهذا ما رواه الوارجلاني؛ إذ ذكر ابن يعقوب السيتي: «... فسألت عائشة زوجة الشيخ...»⁽⁵⁾. وكانت سنده في حياته، حيث تقوم بشؤونه وشؤون أبنائه أثناء فترات غيابه للدعوة في مختلف الأماكن. أما أولاده هم: أبو يعقوب يوسف، وأبو العباس أحمد بن محمد صاحب التأليف⁽⁶⁾، وإبراهيم بن محمد الذي قتله المعتزلة أثناء دعوة الشيخ أبي عبد الله لبني مزاب إلى مذهب الإباضية، لأنهم لم يستجيبوا له بسهولة، وظل عدد كبير منهم على اعتزاله زمناً⁽⁷⁾.

كان الشيخ الفرستائي ميسور الحال، واعتمد الشيخ أبو عبد الله على نفسه في توفير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السعي لكسب الرزق، وكان ذا غنم كثير ترعاه له رعاة، حيث لم يكن ليتفرغ لرعيها، فاتخذ لذلك عمالاً⁽⁸⁾، فضلاً عن أراضي زراعية يملكها، وبتحسن حالته المادية أصبح يستضيف العزابة والطلبة عنده⁽⁹⁾.

صفاته وأخلاقه:

ذكره أبو عبد الله بن مانوج بقوله: «عجباً لهذا النفوسي وأصحابه، كمثل الحواريين ليعسى عليه السلام»⁽¹⁰⁾. وهو من أكثر الناس علماً وورعاً، وكان موهوباً بالحكمة والرشد، وحصافة الرأي، وسداد التفكير، وحسن التقدير⁽¹¹⁾. ألمعياً حاد الذكاء، يفهم الخاطرة، ويدرك اللمحة العابرة، ويفسر الحركة، ويصل إلى ما يختلج في أعماق النفوس من محدثيه⁽¹²⁾، وكان رقيقاً حليماً عطوفاً محباً للخير، ومع ذلك كان قوي الشخصية مهاباً، ولا يسكت عن منكر يراه، وإن كان يعالج بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد يشتد فيصرح للمخطئ بخطئه في مجمع من الناس إذا خاف أن تصل الأضرار إلى الجماعة حتى يحترس منه الناس. وقد وصفه محمد بن أبي صالح النفوسي بقوله: «فيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالم، ورع، عابد، سخي، شجاع، من ذروة نفوسة»⁽¹³⁾. وقد كان جم التواضع، كثير الاهتمام بأمور الطلبة⁽¹⁴⁾، وذكره رجل من بني وليل بقوله: «لو أنصت أهل الدعوة واستمعوا لجميع ما يقول هذا الشيخ لأن كلامه كله حكمة إما عن الدين،

وإما عن الدنيا، لأنه حكيم زمانه»⁽¹⁵⁾. وهو الطود الذي تضاءلت دونه الطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثماد⁽¹⁶⁾. وهو عند الإباضية إمام عصره وإليه المرجع عند المدلهمات⁽¹⁷⁾، وهو الطود الأشم، ملاذ العلماء وواسطة عقد النبغاء، فكان إماماً من غير إمامة، ساس الناس بعلمه، وأثر فيهم بإيمانه، واستجلب معونة الله بإخلاصه وورعه، يرى فيه الإباضية موهبة الداعية، واعتبروه العنصر الأكثر نشاطاً في نشر الإباضية، وإشاعتها في شمال الصحراء⁽¹⁸⁾.

شهد له أساتذته بالجد والنباهة، فهو حينئذ كفاء ليتحمل المسؤوليات⁽¹⁹⁾، وهو الفيلسوف الاجتماعي والمصلح الكبير الذي لا يعرف السأم أو التعب، وكان من أحرص الناس على الاتحاد والتضامن والتعاون، وكان أكره ما يكره الفرقة والشقاق، ويمقت الأشخاص الذين يسعون إلى الخلاف أو يتسببون فيه⁽²⁰⁾. وهذا غيض من فيض الصفات والسجاياء والفضائل والمناقب التي يتمتع بها الشيخ أبو عبد الله الفرستائي، والتي وصفه بها الجميع.

- أما وفاته: توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي سنة (440هـ/1048م) بتنيسلي أو آجلو⁽²¹⁾، عن عمر (95 عاماً)⁽²²⁾، وقبره يوجد أمام غار بأجلو.

رحلته العلمية:

غفلت المصادر عن ذكر مراحل دراسة الشيخ أبي عبد الله، ولم تحدد سنوات تنقلاته من أجل طلب العلم، ولكن ذكرت المدن والقرى التي زارها وجلس يتعلم على أيدي علمائها. وأخذ عن أبيه ومن معه من مشائخ جبل نفوسة⁽²³⁾، فقد دخل المدرسة القرآنية في طفولته، ولما أكمل ذلك درس العلوم النظرية، ورغب في أن يدرس علوم الاجتماع بالتجربة والمشاهدة⁽²⁴⁾.

سافر من فرسطاء إلى جزيرة جربة التي دخلها حوالي سنة (370هـ/980م)، ودرس فيها على يد الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور البهراسني في الجامع الكبير أو جامع أبي مسور بحومة الحشان⁽²⁵⁾ حيث أخذ عنه علوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير. ولم تذكر المصادر مدة إقامته في جزيرة جربة⁽²⁶⁾، وتختلف في معرفة مخطط سير تعلمه بعد خروجه من الجزيرة. ويفصل الدرجيني في كتابه إذ يقول: «وبلغنا أنه في أيام قراءته على أبي زكريا... فبلغنا أنه لما مات أبو نوح... وحصل من العلوم خيراً كثيراً، إلا أن بضاعته من علم اللسان كانت مزجاة، لم ير أن يتعاطى من العلوم حتى يحصل الكفاية من علم الفصاحة فقصده مدينة القيروان، وأقام بها مدة يتعلم اللغة والنحو، حتى اكتفى من علم الفصاحة فصدر عن القيروان، وبعد ذلك دارت عليه الحلقة»⁽²⁷⁾.

ويضيف الوردجاني والدرجيني أنه ذهب إلى الحامة⁽²⁸⁾ ثم إلى القيروان، وبعد رجوعه قعد للتدريس. أما في الحامة فقد درس الأصول على يد الشيخ أبي نوح سعيد بن زنجيل، ولم يغادرها إلا بعد موت شيخه الذي توسم فيه النبوغ والعلم، فقد قال فيه: «إن كنت أفهم شيئاً فإن هذا الفتى هو الذي يحيي دين الله...»⁽²⁹⁾. وأما في القيروان فقد درس علوم العربية والمنطق، وأخذ العلم عن عدد من أعلامها، وكان يتواجد بها عدد من علماء الإباضية، وذكر أبو الربيع: «إن أبا

عبد الله محمداً توجه من عند أبي زكريا إلى القيروان يتعلم الإعراب والنحو»⁽³⁰⁾. ويقول الوسياني أن: «أبو عبد الله توجه إلى مؤدب يعلمه ... فوجد أبو عبد الله صبيانه في علة العلل، جاوزوا العلة»⁽³¹⁾. وكان ينتقل بين عدة حلقات ولم يقتصر على اللغة، وهو ما ذهب إليه الشيخ سالم بن يعقوب إذ يذكر: «... أن تعلمه على أبي نوح بعد تعلمه في جربة وقبل القيروان ... فتاريخ 413هـ/ 1022م، تاريخ لرجوع الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر من القيروان بعد إتمام دراسته فيها بعد ما حصل على العلوم العقلية والنقلية في نفوسة والقيروان»⁽³²⁾. وتاريخ إنشاء مدرسته بمدينة تقيوس⁽³³⁾، وفيها انتقل بمدرسته من تقيوس إلى أريخ⁽³⁴⁾ عند قبيلة مغراوة⁽³⁵⁾.

ثم انتقل من القيروان إلى قسطيلية⁽³⁶⁾ يبحث عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا المزاتي ليتعلم عنه علم الفقه والفروع⁽³⁷⁾، وتزامن قدوم الشيخ أبي عبد الله إلى تقيوس مع الذين أرسلهم الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور وهم ابنه زكريا ويونس مع ابن اخته أبا بكر بن يحيى وغيرهم ممن خرج معهم إلى الشيخ أبي عبد الله، حيث قال لهم: «امضوا إلى ذلك الرجل فإن أنتم وجدتموه فكونوا معه ولو شغل دنياه...»⁽³⁸⁾. ويذكر زكريا بن أبي زكريا فصيل: فلما وصلنا إلى تقيوس التقينا مع الشيخ أبي عبد الله، كما جاء من القيروان ... يريد المسير إلى أبي عمران موسى بن زكريا بتجديث، «ثم إنهم كلموا الشيخ أبا عبد الله أن يعقد لهم حلقة فأبى من ذلك وامتنع، ومكثوا يراودونه ما شاء الله ...»⁽³⁹⁾. بعدها استجاب لمطلبهم وبشروط. ومن ذلك يتضح مدى اهتمام الشيخ أبي عبد الله بالعلم وتحصيله، وقد يكون دافعا ذاتيا أكثر منه أوبيا، فانتقاله من الجبل إلى الجزيرة، ثم إلى أفريقية بحثاً عن مصادر العلم آنذاك، ويتضح أن حلقات العلم كانت منتشرة في الربوع تحت رعاية وتوجيه كبار مشائخ الإباضية، وما قام به لا يعدو إلا أن يكون مساراً طبيعياً لتحصيل العلوم المختلفة، مثله مثل أي طالب علم راغب في ذلك. ومما يدل على اهتمامه في الحفاظ على استمرارية المذهب ونشر سيرة الحلقة بين الربوع، فقد حرص الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر على القيام بزيارة عدة مناطق: فمن تينسيلي إلى وارجلان بقراها العديدة، مثل: إفران ثم جبال بني مصعب، ومنها أيضاً تين باماطوس وهي في الطريق بين وارجلان وأريخ، ووجلانة وقنطرة في قسطيلية، وتلاعيسى (وارجلان) وسدراتة. ثم إلى أفريقية (باجة) والقيروان، والساحل وجربة وسوف وطرابلس وجبل دمر، ونفوسة، وتمولست (جبال بني خدش) ولماية، وتافجلت (شمال مدنين)، وجبال بني مزاب ثم أريخ⁽⁴⁰⁾. وتلك هي القرى والمدن التي كان يتردد عليها هو ومن معه من المشائخ وطلبة العلم للإفادة، والزيارة وتفقد أحوال إخوانهم، ومساندتهم. وكانت رحلته الأخيرة من قلعة درجين سنة (440هـ/ 1048م) إلى أسوف، ثم آجلو مع قبيلة وتريزلن، وكانت تلك في آخر أيامه⁽⁴¹⁾. وكان الشيخ أبو عبد الله الفرستائي يشتهي في أريخ، ويربع في البوادي عند بني مصعب (مزاب) وغيرهم، وكانوا آنذاك واصلية فرد بعضهم إلى الوهيبية⁽⁴²⁾. «وقد لعب دوراً كبيراً في اهتداء قبيلة بني مصعب

البربرية التي كانت مقيمة في أرض مزاب الحالي، والتي كانت تجاهر بالعقيدة المعتزلية حتى ذلك الوقت»⁽⁴³⁾. واستقر الشيخ مع تلاميذه في تين يسلي، وفي غار التسعي شرع في وضع نظام الحلقة سنة (409هـ/1018م)⁽⁴⁴⁾. وبهذا يمكن القول بأن رحلته التعليمية والدراسية قد امتدت من فرسقاء إلى جربة، فالحامة ومنها إلى القيروان ونفزاوة، أما رحلته التعليمية الدعوية فكانت في مختلف أراضى أفريقية، أي المغربين الأدنى والأوسط، وذلك لشعوره بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه من أجل الحفاظ على استمرارية المذهب الإباضي، وتبليغ الأمانة التي تحملها إلى الأجيال من بعده. وكان له له أسلوب فريد في الإصلاح، فمن خلال رحلاته وأسفاره كان التلاميذ معه يتعرضون للمناق والمحن، ويبلون البلاء الحسن، فيقوم الشيخ بانتقاء من يصلح منهم للقيادة الدينية، ومنهم من يخصص للتعليم، ومنهم من لا يصلح إلا لنفسه.

أساتذته ومشائخه:

تلقى الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر العلم في مسقط رأسه فرسقاء، على يد أبيه ومشائخ القرية الذين لم ترد أسمائهم في المصادر. وفي جربة تعلم على يد مشائخ أجلاء، أخذ عنهم فنون الشريعة الإسلامية كالتفسير والحديث وأصول الدين والفقه، ومنهم: سليمان بن ماطوس الشروسي، أبو زكريا فصيل بن أبي مسور، أبو صالح، أبو محمد كاموس الزواغي، أبو عمرو النميلي، أبو موسى عيسى بن السمح⁽⁴⁵⁾.

أما في الحامة بقسطيلية (بلاد الجريد) درس علم الكلام على يد أبو القاسم الحامي، وأبي نوح سعيد بن زنجيل، ولما توجه إلى القيروان درس علم اللسان (النحو والصرف والبلاغة والإعراب) على مجموعة من علماء الإباضية الذين لم تذكر المصادر أسمائهم سوى منصور بن عبد الغني الوسلاني المزاتي، وكانت هذه المدينة ذات نشاط علمي⁽⁴⁶⁾. وفي قسطيلية جلس إلى الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا.

تلاميذه وطلابه:

كان للشيخ أبي عبد الله الفرستائي عدد كبير من الطلاب لا يمكن حصرهم، فله في كل قرية ومدينة حلقة علم، «والذين يبلغون المئات من جميع الجهات»⁽⁴⁷⁾. ويبدو أنه كان يلقي دروسه باللغتين العربية والبربرية، فقد اختلفت ألسنة طلبته الذين قدموا إليه من كل الجهات، وهؤلاء أشهرهم المذكورون في كتب السير الإباضية، والذين تركوا تأليف في شتى الفنون، وسيرة حياتهم تناولها المراجع المختلفة، منهم: أبناؤه الثلاثة أبو العباس أحمد، وأبو يعقوب يوسف، وإبراهيم، وزكريا بن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، يسجا بن يوجين اليهراسني، ويونس بن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، وأبوبكر بن يحيى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وأبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي زوجون المزاتي، وإبراهيم بن مناد، وبابا السعد، وأبو عبد الله محمد بن الخير بن أحمد، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وغيرهم الكثير.

جلوسه في الحلقة:

عندما عزم أبو عبد الله محمد الفرستائي التنقل إلى أريخ لتلك الظروف أرسل إلى أبي القاسم يونس بن أبي رجون الويلي⁽⁴⁸⁾ أن يهيئ له غاراً ليجتمع فيه مع طلبته ليدرسوا فيه، ويأووا إليه⁽⁴⁹⁾. فأقام الشيخ أبو عبد الله الفرستائي وطلبته في بني وليل⁽⁵⁰⁾، ثم تنقل إلى إيسلي وهناك رتب الحلقة. وسمي الغار بالتسعي نسبة إلى السنة التاسعة من القرن الرابع الهجري (409هـ/ 1018م) التي أسس فيها هذا النظام أي سير الحلقة⁽⁵¹⁾.

- تنقلاته وأسفاره: ذكرت المصادر بأن أبا عبد الله الفرستائي تنقل إلى عدة مناطق مع تلاميذه وأتباعه للتعليم وللإفتاء وللدعوة للمذهب، حتى أنه لقب بسيدي محمد السائح⁽⁵²⁾، وذلك لكثرة تنقلاته وأسفاره في شتى مناطق تواجد الإباضية من جبل نفوسة شرقاً إلى جبال بني مزاب غرباً، ومن القيروان شمالاً إلى وارجلان جنوباً، وهو من العلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق، واستوطن أفريقية وقسم أوقاته وأيامه بين بلاد الصحراء لهداية الناس وإرشادهم⁽⁵³⁾. وقد كثرت تنقلاته الدعوية لنشر نظام العزابة بين أوساط الإباضية، وما أكثر التزاور بينهم رغم تباعد الديار وسوء الطريق والأحوال⁽⁵⁴⁾.

فمن أسباب هذه التنقلات التي قام بها أبو عبد الله محمد بن بكر بأنه كان يسعى إلى تكوين رجال عالمين بأنفسهم وذلك بتعويدهم الاعتماد على النفس، وكثرة التنقلات خير دليل على ذلك خاصة أنهم كانوا يقطعون الصحراء بهدف أن يعودهم على تحمل مشاق السفر من أجل نشر الدعوة الإباضية⁽⁵⁵⁾. ومن بين المناطق التي تنقل إليها وادي بني مصعب أو (وادي ميزاب) التي كان يخرج إليها للحلقة في الربيع طلباً للراحة هو وتلاميذه. وتنقل إلى قسطيلية⁽⁵⁶⁾، وفي طريقه إلى تمولست عقد مجلساً في المسائل، وعندما فرغ الرجال من مجلسهم دنت النسوة تسأله⁽⁵⁷⁾.

ثم توجه إلى لماية وعقد بها أيضاً مجلساً إذ اجتمع عليه الشيوخ وصاروا يسألونه⁽⁵⁸⁾. بعدها ذهب إلى جربة ومكث بها مدة عند بني يهراسن⁽⁵⁹⁾. ثم اتجه إلى تبالجت بجنوب تونس ثم رجع إلى أريخ. وقد زار أفريقية⁽⁶⁰⁾، وقسم أعضاء الحلقة على الأحياء للدعوة بالتأكيد للمذهب ومراجعة المسائل من خلال مجالس الذكر⁽⁶¹⁾. وعند وصوله إلى سلام ليك قال: « ما وجدنا في وجهنا ذلك، في حي أو منزل إلا وجدنا من يستفاد منه خيراً أو علماً »⁽⁶²⁾.

كما تنقل إلى الساحل، فمن رواية الوسياني يمكن يتبين أن الأوضاع السائدة في تلك الفترة؛ إذ يروي بأنه التقى برجل يعرفه كاد أبو عبد الله محمد الفرستائي أن يهجره لعدة أسباب، فقد وصف لباسه ولم يعجبه، لأن العزابة كان لهم لباس خاص في تلك الفترة ولا يحبون اللباس الفاخر؛ إذ جاء في الرواية: « ... كنت في حلقة زائرين من الدعوة في الساحل فخرج إليهم الناس من بعض القرى وفيهم رجل من تلاميذه الشيوخ وعرفته لبس كساء حشماً، وفي رجله شماشق قلعية، وفي

يده مزراق يرفعه ويضعه، وعلى رأسه شاشية حمراء فصافحوهم وأدخلوهم المنزل وقد عولت على هجرانه»⁽⁶³⁾. ويضيف الوسياني فيما رواه عن الفرستائي: مما زاد حُنقة أنه أدخل عليهم رجلاً من الجبابرة: «ثم إن الرجل المذكور أدخلنا بينا وادخل إلينا رجلاً من أعوان الجبابرة، قال فعزمت أن أخرجه إلى الخطة»⁽⁶⁴⁾. ثم يروي طريقة الأكل التي أيضاً لم ترق لأبي عبد الله مطلقاً، والتي كانت سبباً في العزم على هجره للرجل⁽⁶⁵⁾. فقد وضع الفرستائي في نظام الحلقة آداباً للأكل ألزم بها تلاميذه، وإلا فالخطة أي (الهجران).

لكن كل ما أقدم على فعله هذا الرجل كان للحفاظ عليهم وعلى الدين، حتى أنه أعاد إحضار قصعة أخرى لإعادة الأكل؛ إذ يقول: «قال فخرجنا والأعوان فأدخلنا بيتاً آخر نحن الحلقة، وقدم إلينا قصعة وقال كلوا لعلنا نودى كذا بعض حقوق الإسلام وأهله وبعض ما أكلنا من أموال أهل الدعوة على وجه الإسلام وإنما لزننا (دفعنا) إلى ما ترون مداراة عليكم»⁽⁶⁶⁾. فمن هذه الرواية يتبين أن أبا عبد الله صاحب الأمر في تلك الفترة، وهذا يدل على أن الأوضاع كانت تتطلب هذه السياسة. وقد تنقل أبو عبد الله الفرستائي إلى وارجلان حيث كانوا ينتقلون في جماعة؛ إذ يذكر أبو زكريا أن: «أبو الربيع»⁽⁶⁷⁾ قال: طلعنا مع أبي عبد الله إلى وارجلان زائرين في جماعة كثيرة، وفينا قبائل أهل الدعوة بأجمالهم. حتى جعل ببعض الطريق أبو عبد الله على كل قبيلة منهم عريفاً⁽⁶⁸⁾ يراهم ويتفقد أمورهم خوفاً مما يحدثون في وارجلان»⁽⁶⁹⁾. ويذكر أيضاً بأنه اختار جلداسن⁽⁷⁰⁾ لكنه رفض وقال له: لا أملك إلا نفسي، فقال له أبو عبد الله: أتم الآية يا جلداسن، وهو يقصد الآية التي وردت في سورة المائدة: (قال رب لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)⁽⁷¹⁾. فلما رفض لجأ أبو عبد الله للخطة فهجروه حتى تاب فردوه⁽⁷²⁾. ومن خلال ذلك يتضح العدد الكبير من القبائل الذين ينتقلون معه، لأجل ذلك كان يعين على كل قبيلة وكل هؤلاء في طريقهم يسعون في جد واجتهاد كما يذكر أبو الربيع: «... فسرنا على هذه الرعاية والحذر والوجل والاجتهاد والافتقاد حتى وصلنا وارجلان»⁽⁷³⁾. وفي وارجلان تم مناقشة مسألة الأجر على تعليم القرآن في حلقة بالمسجد الكبير؛ إذ يذكر أبو زكريا: «... فسأل رجل عن مسألة هل يأخذ الرجل على تعليم القرآن؟ قال فتدافعوا المسألة فيما بينهم فلا يجيبوه فيها بشيء، فقال أبو عبد الله محمد بن بكر لعبد الله المديوني⁽⁷⁴⁾: أجب له مسألته، قال: نعم يأخذها فإن لم يأخذها على تعليم القرآن فعلى ماذا يأخذها، ... وإنما يحمل جوابه على ما يفعله أهل الدعوة من تعليم الخط وتقليم الأقالم، وحفظ الصبيان، وتأديبهم»⁽⁷⁵⁾. ولكن لم تذكر المصادر بأنه تنقل إلى وارجلان لتردي الأوضاع بها؛ إذ يروي بأنه قال عنها لما سُئل للنهوض إليها: «إن ذكر وارجلان مضره فكيف دخوله»⁽⁷⁶⁾.

مؤلفاته:

لم تصل إلينا مؤلفات الشيخ أبي عبد الله، ولكن أشارت إليها بعض كتب السير والتراجم، منها ما ذكره الدرجيني بقوله: «وله في كل فن تأليف كثيرة، وأكثرها في الحجج والبرهان... وحفظ

عنه في الأخلاق حكم قد خلدت في بطون الأوراق «⁽⁷⁷⁾. والباحث في التراث الإباضي من كتب السير والفقهِ والعقيدة يجدها حافلة بأرائه وحكمه، ومن ثم يتضح أن أبا عبد الله لم يؤلف كتباً لقصد التأليف، وإنما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه، وأخذها عنهم المؤلفون لتُعرف فيما بعد بتأليف أبي عبد الله، وأشمل كتاب يجمع آراء الشيخ وعلمه هو كتاب: (التحف المخزونة) لتلميذه سليمان بن يـخلف وهو مخطوط في جزئين.

أهم العلوم التي درّسها أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي:

من خلال ما ذكرته المصادر عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي يمكن التعرف على أنواع المجالس التي كان يعقدها، والعلوم التي كان يدرّسها، حيث يروي أبو زكريا بأن مجالس أبي عبد الله أكثرها في التخويف والتحذير⁽⁷⁸⁾. وقد سبق ذكر تنقلاته التي قادته إلى أماكن عدة، فأينما حل عقد المجالس والحلقات، وأجاب فيها عن المسائل والفتاوي التي يتقدم بها إليه الناس عامة، أو المتعلمين بهدف التعلم. وذكر الدرجيني رواية مهمة تدل على أن أبا عبد الله يعلم أصول الدين والفقهِ، وهي تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التعليم⁽⁷⁹⁾؛ إذ يقول: « وذكر عن أبي يعقوب⁽⁸⁰⁾ شيخ كان بنفوسة أمسنان أنه كان مقصداً للمبتدئين، فإذا انتظموا في حلقة علمهم السير وآداب الصالحين، ثم ينقلهم إلى محمد سودرين⁽⁸¹⁾ فيُجرون قراءة القرآن ويتعلمون اللغة والإعراب، ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله بن بكر فيعلمهم أصول الدين والفقهِ⁽⁸²⁾. ويقول الدرجيني بأن العزابة شبهوا الشيوخ الثلاثة: « بثلاث نجارين، أحدهم يحسن قطع الخشب من الشعراء، والثاني يشقها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمرها فيما يصلح بين الأدوات⁽⁸³⁾. إلا أن الرواية لا تبين المدة التي يقضيها التلاميذ عند كل معلم ولا المكان الذي يتعلمون فيه.

رواد حلقة الشيخ أبي عبد الله محمد الفرسطائي:

من خلال الرواية التي أوردها أبو زكريا عن ترتيب الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر لتلاميذه في حال نومهم في الغار، يمكن معرفة أصناف التلاميذ أو رواد حلقة؛ إذ يكون: الأكابر، والأواسط، وغير التلاميذ، فيقول: « وذكر عن الشيخ أبي عبد الله أنه كان مع تلامذة في الغار المعروف تين يسلي، وكان صنفهم ثلاثة أصناف عند منامهم، وجعل رتبهم في حال مضاجعهم، فكان الأكابر منهم يردون رؤوسهم إلى أساطين الغار وأعمدته، ويرد غير التلاميذ رؤوسهم إلى ناحية القبلة، فهو أراد رؤوس الأواسط من التلاميذ في السطر الأخير⁽⁸⁴⁾.

من هذا النص يتبين أن رواد حلقة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر كان منهم فإنهم يعتكفون معه في الغار يتعلمون، لكن مدة بقائهم غير معلومة. ومن رواد حلقة أيضاً الأصاغر؛ إذ يذكر أبو زكريا رواية أخرى توضح أن التلاميذ في الغار يتناصحون فيما بينهم، فيقول: « وذكر الشيخ يحيى بن جعفر رضي الله عنه، أنه قد رقد ذات ليلة في الغار مع التلامذة فسمع نشأً باكياً يبكي ويشهق، قال: فعرفت صوته، فإذا هو من أصاغر التلامذة، فلما أصبح سألته عن بكائه فمأطاني،

واستقصيت عنه السؤال، فقال لي: «ومالي لا أبكي وقد اجتمع العزابة في ندائهم، وتناصحوا وتراددوا، فلم يذكرني أحد منهم. وقد كان فلان قبل هذا لا يدع نصيحتي ولا تذكيري غاية. فلما مضى عدمت من ينصحتي. فبكيت من أجل ذلك»⁽⁸⁵⁾. وذكرت المصادر أن بعض النساء كن يحضرن مجالس أبي عبد الله ويسألنه؛ إذ يقول أبو زكريا: فدنت إليه النسوة وفيهن أم البخت⁽⁸⁶⁾ وأختها، وكانت أم البخت تدعي المسائل وقراءة الكتب، وجعلت عليه السؤال في المسائل والمواعظ حتى طلع الفجر⁽⁸⁷⁾.

تأسيسه نظام حلقة العزابة:

أنشأ الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي نظام حلقة العزابة، الذي لازال إلى الوقت الحاضر، ويعتبر أثر يحسب له حياً وميتاً، يفتخر به كل اباضي عبر العصور. وهذا النظام مادة خصبة يبحث فيه المؤرخين، وعلماء السياسة، وعلماء النفس، والاجتماع، والاقتصاد، ومنهجه الذي استطاع أن يكون أمودجاً متكاملًا لحياة الناس، استمد من القرآن والسنة، وهو نظام يدير شؤون المجتمع: الدينية، والأخلاقية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية.

فبعد الأحداث القاسية التي تعرض لها الإباضية خلال تاريخهم الطويل، منها: موقعة مانو سنة (283هـ/896م)، والتي خسر فيها الإباضية (12) ألف قتيل، منهم (400) عالم وفقه⁽⁸⁸⁾. ثم سقوط الدولة الرستمية سنة (296هـ/909م)، وفرار العلماء والمشائخ من تيهرت، وحرق الشيعة لكتب المذهب الفقهية، ثم معركة باغاي التي انهزم فيها الإباضية أمام الجيش الفاطمي سنة (358هـ/968م)، وأخيراً تخريب قلعة درجين سنة (440هـ/1048م)، وهروب العلماء إلى آجلو.

كل هذه الأحداث وغيرها جعلت المشائخ يفكرون في طريق آخر يهدف إلى حماية كيان المذهب، بعيداً عن السياسة، فكان الشيخ أبو عبد الله الفرستائي من الأوائل الذين طبقوا الفكرة عملياً، فكان ميلاد نظام الحلقة. ويعود فضل المبادرة إلى وفد من طلبة جربة، وهم أبناء شيخه أبي زكريا فصيل وهما: زكريا ويونس، وابن أخته أبو بكر بن يحيى ومن معهم طالبين منه أن يعقد لهم حلقة علم، وهي وصية أبيهم الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور اليراسني. فعندما عاد من القيروان أراد أن يقصد أبو عمران موسى بن أبي زكريا⁽⁸⁹⁾ بتاجديت (بأريغ)، وفي طريقه إليها ألتقى بابنا أبي زكريا بن أبي مسور يسجي بن يوجين اليراسني⁽⁹⁰⁾ وعدد من الطلبة الذين خرجوا في طلبه بطلب من أبي مسور بأن يلازموه حيثما يجده ويقرأوا عليه⁽⁹¹⁾.

فامتنع في بادئ الأمر وظلوا يلحون لكي يرتب لهم الحلقة⁽⁹²⁾ إلى أن وافق، على أن لا يسألوه أي مسألة إلا بعد مضي أربعة أشهر⁽⁹³⁾، ولم تورد المصادر سبب هذا الشرط، إلا أن أحد الباحثين يعلل سبب ذلك بأن الشيخ الفرستائي أراد ذلك لكي يتسنى له وضع اللوائح والقوانين، كما أنه ينفي ما جاء في المصادر بأنه رفض التماس الطلبة؛ بل كان متحمساً، ولم يشر إلى مصدر الخبر، ولكن المصادر لم تورد ذلك⁽⁹⁴⁾. وقد ساعده في التنظيم والتخطيط شيخه أبو زكريا فصيل بن أبي مسور،

لذلك عُرف النظام باسم (السيرة المسورية البكرية).

فلبثوا في مسجد المنية وهم على ذلك الشرط، لكن لما تعرضت المنطقة للزلازل استشار أبو عبد الله محمد طلبته في التنقل إلى مغراوة أريخ لأن بها أناس رقاق القلوب بهدف أن ينتجع فيهم الإسلام⁽⁹⁵⁾.

أولاً: تعريف العزابة:

أ. في اللغة: عَزَبَ يَعْزُبُ عَزُوباً من العزوب كَفَعُول مضموم والعين، وجمعه عزاب وتفيد معنى تغيب الإنسان عن أهله، أو ماله، أو متاعه كما تفيد معنى العزوبة بالنسبة إلى من لم يتزوج، فيقال فيه: فلان عازب أو أعزب يقال عازب أي رجل عازب، ومعازبة الذي لا أهل له وإمرأة عزبة، عازب: لا زوج لها. ورجلان عزبان والجمع، أعزب والعزابة الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء⁽⁹⁶⁾. وقد وردت بمعنى الغياب في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽⁹⁷⁾، وقوله: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)⁽⁹⁸⁾. فمدلول عازب تفيد معنى: الزهد في الدنيا، والإعراض عن الشيء كأكل المال أو عز حياة الدنيا متاعها، يقال: فلان زاهد في الدنيا، أي غير راغب فيها، أو غائب عنها كأن لم يكن فيها، لانقطاعه عنها وتوجهه للعبادة والتمسك، يفيد ذلك التفسير آية سيدنا يونس عليه السلام (...أي ما يبعد عن عمله ولا يخفى عليه أقل شيء، يبلغ وزنه ثقل ذره في الوجود السفلي والعلوي)⁽⁹⁹⁾.

ب. العزابة اصطلاحاً: استعمل لفظ العزابة كلقب لكل من لازم الطريق، وطلب العلم وسائر فعل الخير وحافظ عليه وعمل به، فإن من جمع هذه الصفات سمي عزابياً⁽¹⁰⁰⁾، ويسمى العزابي إذا لازم الطريق أي التقيد بقوانين الحلقة وأخلاقها مبتعداً عن الشيء أي البعد عن حب الدنيا ومشتبهاتها أو زخارفها المغرية، وهو ما يتماشى مع تعريف الشيخ أبي عبد الكافي للعزابة بقوله مجيباً عن سؤال أحد تلاميذه: أصل العزابة اشتقاقها من العزبة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال، وأصل ذلك يرجع إلى سير أهل الحلقة يصب عليهم من سير بعضهم البعض.

ومفهوم العزابة يفيد معنى العزوبة وهي الانفراد، فأطلق على الذين انقطعوا عن الدنيا إلى الاشتغال بالدين علماً وعملاً، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان في حق الخليل بن أحمد: عزوب من الدنيا وعن زهراتها وشوق إلى المولى⁽¹⁰¹⁾.

ثانياً: تعريف الحلقة:

أ. لغوياً: وردت بمعان كثيرة وأهمها ما أورده ابن منظور: الحلق بكسر الحاء، وفتح اللام جمع الحلقة مثل قصعة وقصع وهي الجماعة من الناس مستردون كحلة

الباب وغيرها ... (102) وتحلق القوم أي جلسوا حلقة حلقة ، ويضرب العرب مثلاً بين مدى التجاوب والالتحام بين المجتمعين في شكل حلقة على ما بينهم من مودة وتآزر ويخشى باسمهم، كقولهم ابن الأعرابي: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أيهما طرف لها، يضرب مثلاً لقوم إذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة ولا يطمع عدوهم فيهم، ولا ينال منهم. (103)

ب. اصطلاحاً: الحلقة تعني: ناس يستدرن أمام عالم ديني مطلع على التشريع، وهذا في البداية عند الإباضية في ورجلان ووادي أريخ وميزاب، فأصبحت مجلساً، وهذا المجلس يشرف على الحياة المدن في الميزابية، وهذا التعريف الاصطلاحي حديث معين وهو ما تطور إليه مفهوم الحلقة منذ نشأتها حسب مهامها التي من أجلها ظهرت بيد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر.

ويظهر ببداية أن كلمة الحلقة بمفهومها اللغوي قديمة جداً قبل القرن الخامس للهجرة؛ إذ عرفت عند العرب قبل ظهور الإسلام، بجلوس جماعة ما في شكل دائري، أما ابتكارات الشيخ محمد بن بكر فهي من حيث تنظيم طريقة التعليم، كمهام اجتماعية فنظامه يعتبر جديداً في عهده باعتبار ما آل إليه الإباضية .

إن تدريس العلوم اللغوية والشرعية بكيفية الجلوس على شكل حلقات هو الذي أعطى لهذا النظام الهادف لهذا الاسم، فأصبح مرادفاً، وأحياناً غالباً عليه، على أن حقيقة الحلقة أو تلقي العلوم، أو تدريسها في شكل حلقات وقد غلبت تسميتها في عهد الدولة الرستمية. ومن هنا يتضح أن سبب تسمية نظام العزابة بنظام الحلقة راجع إلى أن الشيخ وزملائه وتلاميذه يجلسون في مقرهم على شكل حلقة أو دائرة .

يشير الدرجيني إلى معنى الحلقة لغة واصطلاحاً بقوله: الحلقة اسم لجماعة تشمل على الشيخ يعلمهم العلم، ويلقنهم السير، ويصبرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم، يحصل البعض وأن أعياه الكل، (فأن لم يصبها وإبل فطل)، فكأنهم ملحقون ولو أنهم مفترقون، ويقصد بها هيئة جلوس العزابة أو وصف نظامهم وقوانينهم أو الإشارة إلى مجالسهم⁽¹⁰⁴⁾ . أما كلمة السير وتعني مستلزمات الحلقة من تنظيمات خاصة بهما، أو هي القوانين التي وضعها مؤسسها الأول، إلا أن معنى نظام العزابة أوسع دائرة من سير الحلقة، لأنه كما يشرف من أول أمره على سير الحلقة يشرف كذلك على تسير شؤون المجتمع، وفيما يأمر به الدين الحنيف، هذا التوضيح يشير إلى قوة وضعف نفوذ العزابة؛ إذ بدأ أولاً على شكل حلقات للتدريس، وتنظيم في حياتهم اليومية⁽¹⁰⁵⁾ .

- أسباب ظهور نظام الحلقة: هناك أسباب كثيرة أدت لظهور نظام الحلقة وتطورها إلى نظام العزابة، ويمكن استنتاج معظمها وحصراً فيما يلي :

أولاً: الظروف السياسية لنشأة نظام العزابة: لقد اجتمعت مجموعة من الأسباب أدت إلى ظهور نظام العزابة من بينها:

1. الظروف التي عاشها الإباضيون بعد سقوط دولتهم عقب وقعة مانو سنة (283هـ) وسقوط مدينة تاهرت سنة (296هـ/908م).
2. الجو السياسي العام السائد بالمغرب الإسلامي في فترة القرون الوسطى، وخاصة بعد الأحداث السابقة .
3. انهزام الإباضية في معركة باغاي ضد المعز لدين الله سنة (358هـ/969م)، وتعتبر هذه الثورة آخر محاولة يقوم بها الإباضية للعودة إلى مسلك الظهور، وبعدها ركنت الإباضية إلى الكتمان، كما قام مشائخهم باتخاذ مجموعة من الإجراءات الوقائية، فأمروا أتباع المذهب بالتوجه إلى المناطق النائية الصحراوية، حتى يكونوا بعيدين عن مناطق نفوذ الشيعة الفاطميين، بينما تفرغ المشايخ للتفكير، في إيجاد حل يضمن لهم العيش في إطار المبادئ الإباضية، مع المحافظة على الكيان الإباضي من الذوبان والانقراض⁽¹⁰⁶⁾.
4. اهتمام شيوخ الإباضية بالتنقلات وتبادل الزيارات، ولارتباط بجماعتهم والتشاور في التنظيم مصيرها للمحافظة على الكيان الإباضي.
5. اهتداء شيوخ الإباضية إلى ضرورة ترتيب المجالس، وتنظيم الحلقات للتدريس سرياً، والاهتداء بتنظيمات إمام المذهب جابر بن يزيد، أبي عبيدة، فظهر مرة أخرى في التاريخ الإباضية التعليم في الغار بعيداً عن الأنظار⁽¹⁰⁷⁾.
6. انقراض الدولة الرستمية في المغرب الأوسط على يد أبي عبيد الله الشيعي سنة (296هـ)، وما أعقبه من متابعات للتجمعات الإباضية في وادي ريخ وورجلان وجبل نفوسة، وهذا منعهم من إعلان الإمامة العظمى والعود إلى مسلك الظهور .
7. القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الإباضي النكاري، المشهور بصاحب الحمار، بكل قسوة من طرف القاسم بن عبيد الله الفاطمي سنة (338هـ/969م)، وتعد هذه المحاولة جادة من طرف النكارة، لتأسيس سيرة من طرف جماعة العزابة النكارة، المكونة من اثني عشر فرداً، مما جعل البعض يعتقد أن أبا يزيد هو مؤسس الحقيقي لحلقة العزابة⁽¹⁰⁸⁾.

ثانياً: الأسباب الفكرية لظهور نظام العزابة: وتبرز هذه الأسباب في الفكر الإباضي وفي العقيدة وأخرى في المذهب والمجتمع الإباضي نفسه وفيما يلي لأهمها:

1. تميزت الفترة السابقة بتأسيس الإمامة الإباضية مشرقاً ومغرباً وكانت سرية لفترة طويلة نسبياً، حيث اعتمدت على مبدأ تخريج الصفة سرياً، فبرز دعاة مقتدرين، تتلمذوا على يد مؤسسي المذهب، فكان ذلك سبباً في شعورهم بالتححرر الفكري،

فأضافوا انساقاً ومبادئ إلى الفكر الإباضي اعتبرت حلولاً لمعضلات واجهها المذهب في مرحلة التأسيس أو تطوراً مهماً ساعد في بلورة مسالك الدين الإباضي، وتكيفه بامتياز مع مختلف الظروف حتى اعتبرها الإباضية سيراً لا محيد عنها⁽¹⁰⁹⁾، خاصة في المرحلة الأخيرة من عهد الدولة الرستمية.

2. اعتقاد الإباضية أن الدولتين الأغلبية والفاطمية، لا تتبعان أحكام الإسلام ولا تعلمان بها وبالتالي فإن الأسباب العقدية تشكل أحد أهم العوامل الدافعة بمشايخ الإباضية إلى التفكير في وضع هذا النظام، الذي يعتبر بمثابة إمامة صغرى، وذلك من باب ما لا يدرك كله لا يترك جله، هذا النظام الذي يحفظون بها أحكام الله في مواطنهم، ويسرون به الأمة، دون أن يلتجئوا إلى إعلان دولة جديدة، أو يتعلقوا بدولة ظالمة مستبدة⁽¹¹⁰⁾.

3. حالة الضعف التي وصل إليها المذهب في القرن الرابع الهجري، وتحول الكثير من الإباضية إلى مذهب أهل الخلاف وفق ما يعتقد ابن الصغير، حيث شهد تراجعاً كبيراً أمام المذهب المالكي الذي يسيطر نفوذه بشكل كبير وواضح على مختلف مناطق شمال إفريقيا، مما جعل الشيخين أبو نوح بن زنجيل وأبو زكريا بن مسور، يتخوفان من انقراض المذهب فأوفدوا جماعة من الطلبة إلى العالم محمد بن أبي بكر، الذي أسس نظام العزابة الذي حفظ جامعة الإباضية في شمال إفريقيا⁽¹¹¹⁾.

وكان الإباضية طيلة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يقيمون الحلقات العلمية، ويجتهدون في خلق نظام دقيق يحافظ على استمرار المذهب في مرحلة الكتمان، واستمر الوضع إلى بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي⁽¹¹²⁾. ومجمل القول أن استمرار الملاحقات والمتابعات والمحن على المذهب الإباضي بسبب المنهج الثوري الذي تبنته الإباضية منذ تأسيسها، مع مظاهر التهرم التي طبعت التجمعات الإباضية في القرن الرابع للهجرة بسبب النشاط المستمر منذ منتصف الأول من القرن الثاني للهجرة، حيث استنفذ المذهب طاقته المحركة (المشايخ والعلماء) إما بالموت الطبيعي أو في الثورات والمتبعات والاغتيالات⁽¹¹³⁾.

تطور نظام الحلقة لدى الإباضية:

يتبين من المصادر التاريخية الخاصة بالإباضية أن هناك محاولات لنشر المذهب الإباضي والمحافظة عليه من ذويه، نتيجة الاقتناع التام بأصوله ومبادئه لما تيقن الإباضيون أن لهم قوة في الظهور انتهج بعض شيوخهم كأبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري النفوسي، وأبي محمد عبد الله بن الخير النفوسي تشكيل تنظيمات تتماشى مع فترة الضعف بعد الأحداث الجسام، فتعاونوا معاً في التعليم والتنظيم. وقد فكروا في أصول نظام يتمثل في الإعراض عن الجوانب السياسية الظاهرية والاهتمام بالجوانب الداخلية التعليمية والسلوكية، فتطورت تنظيماتهما في جبل نفوسة،

فكانت سيرة استهدفاً منها جمع الإباضية، وتوحيد صفوفهم وتوجيههم توجيهها سليماً في أهم جوانب الحياة ولا سيما التعليمية والدينية⁽¹¹⁴⁾، فأصبحت تنظيماتها تتطور بمرور الزمن إلى ظهور نظام العزابة حيث كانت بادئ الأمر فكرة، ثم سيرة ثم⁽¹¹⁵⁾ عرفاً للحفاظ على كيان الإباضية من الاندثار والزوال دون أن يعرضهم ذلك للمصادمات والحروب وهجوم المخالفين. وبعد فشل كل المحاولات التي قام بها الإباضية ضد الحكم الفاطمي التجأوا إلى الصحارى، فلم ينجح الفاطميون في الاستيلاء على جبل نفوسة، ووارجلان فتفرق الإباضية فراراً مذهبهم امتثالاً لأوامر شيوخهم، فاستقروا في كثير من الواحات بالمغرب الإسلامي، وفكروا في المحافظة على ما يملكون من كتب ومؤلفات⁽¹¹⁶⁾ وذخائر علمية نفسية خوفاً من تلفها أو سطوها أو الحرق من المخالفين مثل ما حصل لمكتبة المعصومة بتاهرت التي أحرقتها العبيديين.

اهتم الإباضيون بحركة التأليف، ونسخ الكتب التي تتناول عقيدتهم، والدين الإسلامي وأحكامه كتحضير وتنظيم اجتماعي جديد، فتنظيم المجالس العلمية وعقد الحلقات لدى الإباضية يرقى تاريخياً إلى إمام المذهب جابر بن زيد، ثم ازداد النظام في السرية في عهد الإمام أبي عبيدة⁽¹¹⁷⁾، هذا ويعتبر أبو الحر علي بن الحسين العنبري أول من رتب جمع الشيوخ مع الطلاب العلم ليفيدهم فيما يصلح لهم في الدنيا والآخرة، أو التشاور فيما يخص إصلاح ما فسد. ويعتبر ابن زرقون من أهم الشخصيات الإباضية الأولى التي وضعت أسساً جديدة للتنظيم السري، بعد سقوط الدولة الرستمية فاهتم بإقامة المجالس وحلقات الدرس حيث تأثر بشيخه ابن الجمعي⁽¹¹⁸⁾، وعاصره سحنون بن أيوب الذي نظم بدوره الحلقات فتخرج على يد ابن زرقون، وسحنون علماء واصلوا أعمالهما من أشهرهم أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو الخزر بغلي، وقد وضعوا بعض القواعد لها في عهدهما فاستفاد منها الإباضيون ومن أشهرهم أبو نوح سعيد بن زنجيل⁽¹¹⁹⁾ الذي استفاد من تربيته وتنظيمات شيوخهم، فقد تمكن من الهروب إلى ورجلان وأقام فيها حلقة للتدريس على غرار خطة أبي القاسم⁽¹²⁰⁾.

- نظام الحلقة (سير العزابة): يذكر الدرجيني أن: « أول ما أطلق لفظ عزابي أيام عبد الله محمد بن بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها »⁽¹²¹⁾. لذلك صار هذا النظام يدعى بنظام العزابة، فالقوانين التي وضعها أبو عبد الله محمد بن بكر تتمثل في: الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يدخل إلى الحلقة وأعضاؤها، ومهام كل واحد منهم، والذين صنفهم حسب الدرجيني إلى آمرين: (شيخ الحلقة، والعرفاء)، ومأمورين⁽¹²²⁾.

- عبد الله محمد الفرسطائي، وسار عليه الإباضية من بعده كان كالتالي:

1. شروط الالتحاق بالحلقة: أن يكون أديباً كَيِّساً. وأن يكون مشتمراً في طلب العلم. ولا يُكثَر دخول الأسواق. وأن يغسل جسده بماء، ويغسل قلبه بماء وسدر، أما الجسد فيغسله من الدنس من الناس، وأما القلب فيغسله من الغش والتكبر وما أشبه ذلك مما

يوجب حبه العمل. ويباعد نفسه من الدخول في الأسواق لزوماً، والقعود في الجماعات والتكهنه والتفهفه بين الناس. وأن يكون حافظاً للقرآن. ويكون ممن يحتاج إليه في بعض المواضع يلتزمها⁽¹²³⁾.

2. أهل الحلقة ومهامهم: ومن خلال ما أورده أبا عمار عبد الكافي الذي حرر نظام الحلقة قبل الدرجيني والبرادي، يمكن تقسيم أفراد الحلقة إلى الآتي:

أ. شيخ الحلقة: وهو الموجه الرئيسي للحلقة والمجتمع، فهو المفتي والقاضي، ويكون أعلم القوم في شؤون الدنيا والدين، ولذلك تلزمه مهام بينه وبين العزابة، وبينه وبين التلاميذ. فمن مهامه:

- يعين أهل الحل والعقد (الرجال الأربعة)، وهؤلاء بدورهم تلزمهم مشورة الشيخ بحيث يرجعون إليه في كل صغيرة وكبيرة، ولا يتحرك احد حتى يشاوره. وكما يذكر أبو عمار عبد الكافي: « إذا لم يكن هذا الشرط بين أهل الحلقة فهم على غير بصيرة »⁽¹²⁴⁾.

- ما يجب على الشيخ من تلامذته أن يكون حاذقاً كئيباً لا يرجح أحد على أحد، وإذا رُفِع إليه كلام من أحد التلاميذ عن بعضهم فلا يقبل حتى يلتقي مع تلاميذه المرفوع عنهم الكلام، بشرط أن يوسع قلبه على أقوال التلاميذ، ويجعلهم في قلبه بمنزلة واحدة⁽¹²⁵⁾.

- أن يُعَلِّم تلاميذه الأدب قبل كل شيء: « وإذا تعلموا الأدب، فكلما تعلمه من العلم نفعه، وإذا لم يتعلم الأدب فلا ينفعه علم ولا ورع وجاء الجهل من كل جانب ومكان »⁽¹²⁶⁾.

- وما يجب أيضاً على الشيخ اتجاه تلامذته أن لا يدخل أحد مع العزابة حتى يكون فارساً في الأدب كما يقول: « يتعلم الأدب والسير ليدخل مع العزابة وهو فارس في الدب والسير، حافظ للسانه، وفي أفعاله أديباً »⁽¹²⁷⁾.

ب. أهل الحل والعقد: وهم أربعة رجال يعينهم شيخ الحلقة؛ إذ يذكر ابن عمار عبد الكافي: « وقال الشيخ رحمه الله من الحلقة أربعة رجال من المسبوقين في الهجرة الحل والعقد عليهم، ولكن من كان حافظاً لأموار الدنيا والآخرة لا يشغلهم شأن (كذا) عن شأن وهم كالقطب لا يتحركون من مواضعهم حتى يقبضهم الله وهم على تلك الحالة، وإذا ماتوا في طريق الجنة والمشورة كلها راجعة إلى الشيخ »⁽¹²⁸⁾. وإذا مات أحد من الأربعة خلفه واحد من العزابة إلى مكانه. ويقول عن الرجال الأربعة: « وهم بمنزلة السلطان العادل في حق الله سواء، إذا لم يكن هذا بينهم فهم مفتنون عن منزلة الحلقة التي ثبتها المشائخ رحمهم الله »⁽¹²⁹⁾.

ج. باقي العزابة: ويسميه أبو عمار بهذا الاسم؛ إذ يقول عنهم: « والباقون من العزابة ساكتون ينظرون بأعينهم ويحفظون ما تقول تلك الأربعة هم وشيخهم »⁽¹³⁰⁾. وهؤلاء

يتعدى عددهم العشرة، وهم: رجل يؤذن. وثلاثة رجال يُقرئون الصغار. وخمسة رجال يغسلون الموتى. ورجلين ممن لا مال كثير ولا أولاد كثير يوكلان على مال المسجد. وهناك من يخرج الأكل للعزابة والتلاميذ والصبيان. وأيضاً من يحسن المسجد بالحصائر والمصابيح، ويمنعون الصغار والدواب من الدخول، وهذين الآخرين لم يحدد عددهم⁽¹³¹⁾.

3 . الجزء والعقاب: وكان الجزء حسب نوع الكبيرة:

جزاء مرتكب الكبيرة من أهل الحلقة: فمن فعل كبيرة بين أهل الحلقة وذلك بالينة العادلة، فالعزابة يبرؤون منه في الحين، ويخرجونه من ديوانهم وحلقتهم، خاصة إذا كانت كبيرة واضحة من الأفعال والأقوال؛ إذ يحكمون فيه حكمهم⁽¹³²⁾.

أما إذا أقر واعترف وتاب وندم ورد المظالم فيكون من سائر الطلبة يعقد في المجلس ويقرأ. وأما إذا دخل على الحلقة الدنس بفعله فلا يردونه، وكذلك إن كان رجوعه معهم يؤول إلى الفساد فلا يردونه أبداً⁽¹³³⁾.

4 . **جزاء مرتكب الصغير من العزابة:** أما إذا فعل العزابي صغيرة فإنهم يسترونها عليه، ويحكمون حكمهم فيه سراً، ويباعدونه لفترة شهر أو شهرين، أو عاماً أو عامين حسب نظرهم⁽¹³⁴⁾.

سير الحلقة من خلال مؤلف الدرجيني: وقد فصل الدرجيني أكثر في مهام كل من الأمرين

والمأمورين، كالتالي:

أولاً: الأمرين (شيخ الحلقة - العرفاء):

أ . مهام شيخ الحلقة: حيث يجلس لطلبة فنون العلم، وذلك في وقت معلوم لكي يأخذوا عنه العلوم⁽¹³⁵⁾.

- يجلس بأثر الختمات، وذلك للجواب عن أسئلة طلبته في أي فن كان، ويذاكروه فيما حصلوه قبل ذلك، ويختص يوم الجمعة بزيادة شيء من الوعظ⁽¹³⁶⁾.

- قيامه في الثلث أو الربع الأخير من الليل للاستفتاح أي بالبسملة وقراءة فاتحة الكتاب، ويبدأ من حيث انتهى الليلة الماضية حتى يهب كل من نام، فمنهم من ينضم إلى مجلسه، ومنهم من يدرس لوحه فيقرؤون القرآن حتى يؤذن الصبح⁽¹³⁷⁾.

- يجتمع العزابة يوم الجمع: وهوان يجمعهم الشيخ على وعظ يفيدهم، أو لتذكير أمر مهم يكون شوري من إصلاح فساد، وذلك يومي الاثنين والخميس، فيعظ ويذكر ويتفقد جميع من حضر، فيشكر من حُمدت أحواله، ويعاقب من عيب عليه شيء. فإن كان صغيراً فالزاوية هي موضع التأديب، حيث يجتهد في عدد ما يجلد، أما الكبير إلى الخطة والهجران⁽¹³⁸⁾.

- وإذا قدم من قريب أو بعيد فله أن يقبله أو يرفضه، فغن كان عابر سبيل فيسمح له بالأكل في أوقاته، وإن كان طالب علم نظر في أحواله إن كان يسمح له بالانضمام للحلقة أم يرفض⁽¹³⁹⁾.

- يولي عرفاء الوقات ويأذن لهم فيما يشري أو يباع وفي قسمته، وفيما يفتح الله عليهم من رزق⁽¹⁴⁰⁾.

ب. مهام عريف أوقات الختمات: حيث يتفقد المجلس الذي تكون فيه المذاكرة، فإن أكمل الحزب أو كاد يدعو جميع من في المجلس، ويؤمنون على دعائهم ويدعو أسنهم، فإن انقضى الدعاء وتخلف أحد فالخطة⁽¹⁴¹⁾.

- ينادي عند الضحى بنوم الهاجرة، فإن تكلم أحد حيث يؤذي النائمين فالخطة، وإن أبى وترك النوم كذريعة للامتناع عن القيام بالليل حتم عليه نوم القائلة فإن امتنع فالخطة⁽¹⁴²⁾.

- المناداة للختمة عند غروب الشمس، حيث يستديرون ويذكرون الله، ويدور الدعاء وإن تخلف أحد فالخطة⁽¹⁴³⁾.

- المناداة بالدعاء عند النوم، فإن ناموا وتكلم أحد فالخطة⁽¹⁴⁴⁾.

ج. مهام العريف المتكفل بأوقات الطعام: أن يرتب الأكل⁽¹⁴⁵⁾. وأن يقوم بترتيب جلوس الطلبة⁽¹⁴⁶⁾.

- إن غاب أحدهم في غير عذر فالخطة⁽¹⁴⁷⁾.

- إن اعتدلوا في الجلوس يستدعي ليغسلوا بالماء بعد أن يشتملوا الشملة⁽¹⁴⁸⁾.

- يعيب على من يأكل أكل نهم أو كبر، وذلك في موضع آخر، وإلا فالخطة⁽¹⁴⁹⁾.

د. مهام العرفاء من حملة القرآن: يمي على أصحاب الألواح، ويصحح ألواحهم، ويأخذ بالحفظ عن ظهر قلب⁽¹⁵⁰⁾.

- يؤدب من توقف دون الحفظ، فإن كان مبتدئاً حسب عدد العثرات فوق خمس فالزاوية والجلد، وإن كان كبيراً فالخطة والطرده⁽¹⁵¹⁾.

- يؤدب من تخلف من غير عذر حتى يحفظ أصحابه، ويكتبوا سطرأ أو بعض أسطر⁽¹⁵²⁾.

- يعطي تقريراً للشيخ عن كل واحد يوم الاجتماع⁽¹⁵³⁾.

هـ. مهام عرفاء أوقات الدراسة:

- تفقد أصحاب الألواح بين الظهر والعصر⁽¹⁵⁴⁾.

- يفرضون الخطة في حالة⁽¹⁵⁵⁾: إن أبطأ أحد من غير عذر. وإن اشتغل بما يلهيه عن قراءة

لوحه. وإن قرأ خطأ ولم يهتم بتصحيح لوحه. وإذا أبطأ واشتغل بما يلهيه بين المغرب

والعشاء. وإن قام إلى الطعام اختياراً أو نجوى. إن نام أو تناوم أو اشتغل بما يلهيه وقت

الاستفتاح. وإن غاب عن حضور استماع كتاب المواعظ بين صلاة الجمعة والعصر.

ثانياً: المأمورون: وصنفهم الدرجيني إلى أصناف: طلبة القرآن، وطلبة الأدب، والعاجزين.

أ. طلبة القرآن: يقرؤون ألواحهم بين الظهر والعصر حتماً، وبعد العصر استحباباً،

- ويشتملون عند جلوسهم حيث لا يظهر من أجسادهم شيئاً، ويسند ألواحهم على الأساطين ويقابلونها غير مستندين، ولا يكثرُوا الالتفات، بالإضافة لدراستهم للقرآن يمكنهم دراسة ما يعينهم من فرائض الإسلام⁽¹⁵⁶⁾.
- ب. طلبة الأدب: إن كانوا صغاراً في السن فعليهم ما على طلبة القرآن، وأما إن كانوا أصحاب كتب فيستندون إلى أركان المسجد والأبواب، ودأبهم في الاجتماع للبحث والمذاكرة والمناظرة في وقت معتاد⁽¹⁵⁷⁾.
- ج. العاجزون: ومنهم الطرش والعميان والهارمون، وذوو الأفهام القاصرة، فعليهم الإصغاء والاستماع، والمحافظة على الطرق والأوقات⁽¹⁵⁸⁾.
- هيئة لباس العزابة: فرض الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي في نظامه هيئة ولباساً خاصاً للعزابي يجب أن يتحلى بهما⁽¹⁵⁹⁾، منها:
 - أن يخلق رأسه، ولا يتركه يطول لكي يتجرد من طريقة أهل الدنيا.
 - لا يلبس ثوباً مصبوغاً إلا البياض، ولا بأس إن اقتصر على ملحفة، والأفضل إن لبس قميصاً.
 - ليس ضرورياً أن يلبس العمامة.
 - الآداب التي يجب أن يتحلى بها العزابي: يجب على العزابي أن يتحلى بمجموعة من الآداب، منها:
 - أن ينصرف إلى مواضع لا يكره الانصراف إليها، كمواضع المياه والأشجار، والأماكن التي تنفتح إليها النفوس⁽¹⁶⁰⁾.
 - يكره الانصراف في الطرقات والأسواق، وإن دعت الضرورة فيكون في وقت لا يظن فيه ريبة⁽¹⁶¹⁾.
 - أن لا يتكبر على متواضع في الطريق، ولا يتواضع على متكبر⁽¹⁶²⁾.
 - لا يخالط أهل الدنيا، ولا يجالسهم إلا إذا دعت الضرورة، ويجلسون لكي يستفيدوا من علم أو عمل⁽¹⁶³⁾.
- فهذه بعض الآداب التي فرضها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، ووضعها في شكل قوانين سار عليها العزابة من بعده إلى اليوم، مما مكن الأباضية من الحفاظ على مذهبهم.

الخاتمة:

إن دراسة مرحلة التاريخ الإسلامي الوسيط من خلال الشخصيات الوطنية المحلية تعد من الدراسات ذات القيمة العلمية والأكاديمية باعتبارها دراسة توثيقية، ولأنها تقدم المعلومة التاريخية والدينية والثقافية في سياقها، ومن خلال هذه الدراسة والتي كان محورها الشيخ النفوسي أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي، أشهر أقطاب الإباضية في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين، والذي اعتبره أتباع هذا المذهب إمامهم في جميع الأمور والأحكام، خلصت إلي قيمته الدينية والوطنية، فعلاوة علي ما سبق ذكره فهو يعد بان ومنظم لهيكلية الإباضية في عصره حيث أسس لهم تنظيمًا بالغ الدقة يتبعون قوانينه، وهذا التنظيم يقوم على تكوين مجموعات من طلبة العلم في حلقات حسب برنامج تعليمي صارم، وعلى درجة عالية من الالتزام، يقف على كل جوانب الحياة اليومية للطلبة، وبقي هذا النظام الذي وضعه الشيخ الفرستائي وسار عليه المجتمع الإباضي، منهجاً رائداً في ميدان التربية والتعليم.

الهوامش:

- (1) فرسطاء: من أشهر قرى جبل نفوسة الواقع شمال غرب ليبيا، تقع إلى الغرب منه، وهي بلدة في أعلى الجبل وتطل على الوادي، تقابلها من الجهة الأخرى قرية تملوشايت التي كانت تنافسها في العلم إلى جانب قرية شروس. وعاش فيها الشيخ وتلمذ بها وعلم بها مشاهير علماء الإباضية، أمثال: أبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي، وأبو يحيى زكريا أبي القاسم الفرسطائي، وأبو طاهر إسماعيل الجيطالي. علي يحيى، معمر: الإباضية في موكب التاريخ، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1964م، ص 178.
- (2) حمدي أبو اليقضان، إبراهيم: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي، الجزائر، دن، 1986م، ص 8.
- (3) الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ت 528هـ / 1133م): السير، تحقيق: سليمان بوعصبانة، ج 2، الجزائر، المطبوعات الجامعية، 2009م، ص 368.
- (4) الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928هـ / 1521م): السير، عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1992م، ص 368.
- (5) أبو زكريا الوارجلاني، يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ / 1078م): سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985م، ص 268.
- (6) الوسياني: السير، ج 2، ص 822.
- (7) يوسف الحاج، سعيد: تاريخ الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي، غرداية، المطبعة العربية، 2016م، ص 124.
- (8) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج 1، ص 262.
- (9) فرحات، الجعبري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية، تونس، المطبعة العصرية، 1975م، ص 37.
- (10) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج 1، ص 259.
- (11) حمدي، أبو اليقضان، إبراهيم: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي، ص 123.
- (12) علي يحيى، معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ص 130.
- (13) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج 1، ص 260.
- (14) حمدي أبو اليقضان، إبراهيم: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي، ص 18 - 25.
- (15) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج 2، ص 334.
- (16) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ / 1271م): طبقات المشائخ بالمغرب، ج 2، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974م، ص 197.
- (17) بابا حمو، إبراهيم بن صالح: غصن البان في تاريخ وارجلان، تحقيق: إبراهيم بن بكير - سليمان بو معقل، غرداية، المطبعة العالمية، 2013م، ص 309.

- (18) بلحاج بن عدون، قشار: بحوث ومحاضرات في الدين والحياة، د.م، د.ن، د.ت، ص 56.
- (19) فرحات، الجعبيري: نظام العزابة، ص33.
- (20) علي يحيى، معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص133.
- (21) المرجع نفسه، ص 138.
- (22) حمدي أبو اليقضان، إبراهيم: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي، ص 15.
- (23) فرحات، الجعبيري: نظام العزابة، ص 131.
- (24) المرجع نفسه، ص 132.
- (25) محمود حسين، كوردي: الحياة العلمية في جبل نفوسة، د.م، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008م، ص 90.
- (26) علي يحيى، معمر: الاباضية في موكب التاريخ، 128.
- (27) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 169.
- (28) الحامة: من بلاد قسطيلية، وتعرف بحامة بني بهلول، وهم من بقايا الروم، وسميت كذلك لسخانة مائها، واشتهر اثنين من منتسبي الاباضية إليها، وهم: أبو القاسم يزيد بن مخلد، وأبو خزر يغلى بن زلتاف. التجاني، أبو محمد عبد الله: رحلة التجاني، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، 1991م، ص 134 - 135.
- (29) أبو زكريا الوردجاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج1، ص 251. الشماخي: السير، ص 368.
- (30) الوسياني: السير، ج1، ص 359. الجعبيري: نظام العزابة، ص32.
- (31) الوسياني: السير، ص 65-66.
- (32) بابا حمو، إبراهيم بن صالح: غصن البان في تاريخ وارجلان، ص 308.
- (33) تقيوس: وهي كنومة أو قنطرة، اسمها اليوم هو قرية الوديان، وهي من قرى مدينة دفاش بالجنوب التونسي، مدينة بأفريقية قريبة من توزر، أهلها قوم عجم من الروم القدم والأفارقة والبربر، وقد كانت على مذهب النكارية، من مشائخ الاباضية فيها: يوسف بن سجميمان. كما أن نظام العزابة قد تأسس أول أمره بمسجد المنية بتقيوس سنة (408هـ/1017م). الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م، ص 37.
- (34) أريخ: نسبة إلى قبيلة بني ريغة التي تنحدر من مغراوة، ونزل بنو ريغة ما بين قصور الزاب وورجلان، وكانت أريخ محطة من محطات القوافل التجارية المتوجهة نحو بلاد السودان. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999م، ص 64.

- (35) حمدي أبو اليقضان، إبراهيم: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطيني، ص 44 - 43.
- (36) قسطلية أو قسطلية: اعتبرها اليعقوبي بلاد الجريد كله الواقع جنوب المغرب الأدنى، كما أن بعض الجغرافيين كالإدريسي والحميري اعتبروا قسطلية هي نفسها توزر، وهي أربع مدائن في أرض واسعة لها نخيل وزيتون، وهي: توزر، والحامة، وتقيوس، ونفطة، وأهلها من عجم الروم والأفارقة والبربر. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، بن جعفر (ت 284هـ/897م): البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ص 188. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م): المسالك والممالك، ج2، بغداد، مكتبة المثنى، 1968م، ص 708. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 559هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص 278 - 277.
- (37) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج1، ص 253.
- (38) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (39) المصدر نفسه والجزء، ص 254.
- (40) فرحات، الجعيري: نظام العزابة، ص 132.
- (41) سليمان بو عصبانة، عمر: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، الجزائر، دار نزهة الألباب، 2013م، ص 119.
- (42) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 185.
- (43) ليفيتسكي، تاديوس: المؤرخون الاباضيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر وريما جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص 61.
- (44) جهلان، عدون: الفكر السياسي عند الاباضية، الجزائر، جمعية التراث، د.ت، ص 169.
- (45) فرحات، الجعيري: نظام العزابة، ص 138.
- (46) المرجع نفسه، ص 139.
- (47) علي يحيى، معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص 129.
- (48) ذكره الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ، بان اسمه أبو القاسم بن أبي وزكين الويلي، ج1، ص 254. ولم ترد المصادر الاباضية ترجمة له.
- (49) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 254 - 255.
- (50) أحد قبائل مغراوة، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص 28.
- (51) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ص 170.
- (52) فرحات، الجعيري: نظام العزابة، ص 34.
- (53) بابا حمو، إبراهيم بن صالح: غصن البان في تاريخ وارجلان، ص 307.
- (54) فرحات، الجعيري: نظام العزابة، ص 131.

- (55) المرجع نفسه، ص 47.
- (56) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 256. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 184.
- (57) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 256 - 257. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 184 - 185.
- (58) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 257 - 258.
- (59) المصدر نفسه، ص 259. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 186.
- (60) زارها الشيخ الفرستائي لفقدانه لبصره ولكنه لم يشف. الوسياني: السير، ص 66.
- (61) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 328.
- (62) المصدر نفسه، ص 328.
- (63) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص 388.
- (64) الوسياني: السير، ص 67.
- (65) المصدر نفسه والصفحة.
- (66) المصدر نفسه والصفحة.
- (67) هو أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاني، أحد تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر، من مشائخ الطبقة العاشرة (450-500هـ). أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 269-277.
- (68) العريف: جمع عرفاء وهو رئيس القوم أو النقيب، سمي لأنه عرف بذلك، أو النقيب هو دون الرئيس. الفيروزآبادي، محب الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م): القاموس المحيط، ج3، مصر، المطبعة الميرية، 1301هـ ص 169.
- (69) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 321 - 322.
- (70) لم ترد له ترجمة في كتاب السير.
- (71) سورة المائدة، الآية (25).
- (72) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 322.
- (73) المصدر نفسه، ص 322.
- (74) الشماخي: السير، ص 495.
- (75) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 349.
- (76) المصدر نفسه، ص 336.
- (77) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص 197.
- (78) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 331.
- (79) يصفها علي بن يحيى معمر بأنها: تمثل المرحلة الجامعية. «... ثم يلتحقون بمدرسة أبي عبد الله فيتخصصون في المباحث العلمية، ومنها يتخرجون إما إلى التدريس أو العمل في ميادين الحياة العلمية المختلفة بعد التخرج مباشرة...». الاباضية في موكب التاريخ، ج1، ص 183.

- (80) لم يرد في كتب السير إلا اسمه.
- (81) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص 395 - 396.
- (82) المصدر نفسه والجزء، 397.
- (83) المصدر نفسه والجزء، ص 397 - 398.
- (84) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 322.
- (85) المصدر نفسه، ص 322.
- (86) المصدر نفسه، ص 256 - 257. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 184 - 185.
- (87) لم تذكر المصادر عنها شيئاً غير هذا.
- (88) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ج1، ص 153.
- (89) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص 409 - 412.
- (90) يونس وزكريا ابنا ابن أبي مسور يسجي من علماء الطبقة التاسعة (450-500هـ). الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج 2، ص 293 - 395.
- (91) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 253. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 169.
- (92) فرحات، الجعبري: نظام العزابة، ص 25. عوض، خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية في أفريقية، د.م، دار مجدلاوي، 1980م، ص 26.
- (93) عوض، خليفات: النظم الاجتماعية، ص 26.
- (94) المرجع نفسه، ص 25
- (95) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 254. الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ص 169 - 170.
- (96) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/ 1311م): لسان العرب، ج 2، بيروت، دار الجيل، 1988م، ص 85.
- (97) سورة يونس، الآية (61).
- (98) سورة سبأ، الآية (3).
- (99) أحمد مصطفى، المرآغي: تفسير المرآغي، ج11، القاهرة، مطبعة الباي الحلبي، 1946م، ص 128.
- (100) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 3-4.
- (101) محمد بن يوسف بن عيسى، اطفيش: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، الجزائر، مطبعة البعث، 1980م، ص 30.
- (102) ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 348.
- (103) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

- (104) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص4.
- (105) محمود إسماعيل، عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1985م، ص43.
- (106) علي يحيى، معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ص 178.
- (107) المرجع نفسه، ص 180.
- (108) عبد الله بن يحيى، الباروني: سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مصر، مطبعة النجاش، 1324هـ، ص 19.
- (109) ابن الصغير المالكي (ت: 3هـ/9م): أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق: محمد ناصر- إبراهيم بحاز، الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص 84.
- (110) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ص 167 - 168.
- (111) المصدر نفسه، ص 143 - 145.
- (112) مسعود، مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، غرداية، المطبعة العربية، 1996م، ص 394.
- (113) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ص 190.
- (114) علي يحيى، معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ص 269.
- (115) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، الجزائر، ص 129.
- (116) علي يحيى، معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ص 245.
- (117) المرجع نفسه، ص 130.
- (118) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ص 109 - 113.
- (119) هو من أعلام مزاتة، ومن خمسين الأخيرة من المائة الرابعة، ورع، نزيه، سخي، حليم، متعبد، ذو عزيمة، ثار مع أبي خزر علي العبيديين انتقاماً من مقتلهم لشيخه أبي القاسم، فانهزم وأسر وبعدها هرب إلى ورجلان. الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، ص 353.
- (120) أبو زكريا الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص 136.
- (121) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص 4.
- (122) المصدر نفسه والجزء، ص 171.
- (123) أبو عمار عبد الكافي، أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل (ت570هـ/ 1174م): السير، تحقيق: مسعود مزهودي، عُمان، مكتبة الضامري، 1996م، ص 91 - 92.
- (124) السير، ص 98.
- (125) السير، ص100.
- (126) السير، ص 101.
- (127) السير، ص 101.

- (128) السير، ص 98.
- (129) السير، ص 99.
- (130) السير، ص 98.
- (131) السير، ص 99 - 100.
- (132) السير، ص 93.
- (133) السير، ص 93 - 94.
- (134) السير، ص 94.
- (135) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 172.
- (136) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 172.
- (137) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 172.
- (138) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 172 - 173.
- (139) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 173.
- (140) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 173.
- (141) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 174.
- (142) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 174.
- (143) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 174.
- (144) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 174.
- (145) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 176.
- (146) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 175.
- (147) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 175.
- (148) يقصد بالشملة أن يخرج طرفي ثوبه على صدره بعد أن يدير كل طرف على العاتق الذي يليه فتبرز اليدان ولا ينكشف شيء من الجسد. طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 175.
- (149) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 175.
- (150) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 177.
- (151) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 177.
- (152) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 177.
- (153) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 177.
- (154) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 178.
- (155) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 178.
- (156) طبقات المشائخ بالمغرب، ج 1، ص 179.

- (157) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 179.
- (158) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 180.
- (159) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 171.
- (160) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 171.
- (161) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 171.
- (162) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 171.
- (163) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص 171.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب

- (1) ابن الصغير المالكي (ت: ق3هـ/9م): أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق: محمد ناصر- إبراهيم بحاز، الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م
- (2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999م.
- (3) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/ 1311م): لسان العرب، بيروت، دار الجيل، 1988م.
- (4) أبو زكريا الوردجاني، يحيى بن أبي بكر (ت471هـ/ 1078م): سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985م.
- (5) أبو عمار عبد الكافي الوردجاني (ت570هـ/1174م)، أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل: السير، تحقيق: مسعود مزهودي، عُمان، مكتبة الضامري، 1996م.
- (6) اطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، الجزائر، مطبعة البعث، 1980م.
- (7) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 559هـ/ 1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
- (8) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 1094م): المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثني، 1968م.
- (9) التجاني، أبو محمد عبد الله: رحلة التجاني، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، 1991م.
- (10) الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/ 1228م): معجم البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م.
- (11) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م): طبقات المشائخ بالمغرب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974م.
- (12) الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928هـ/ 1521م): السير، عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1992م.
- (13) الفيروز آبادي، محب الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م): القاموس المحيط، مصر، المطبعة الميرية، 1301هـ.

(14) الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ت 528هـ/1133م): السير، تحقيق: سليمان بوعصانة، الجزائر، المطبوعات الجامعية، 2009م.

(15) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، بن جعفر (ت 284هـ/897م): البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

ثالثاً: المراجع:

(1) إبراهيم، حمدي أبو اليقضان: الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي، الجزائر، دن، 1986م.

(2) الباروني، عبد الله بن يحيى: سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مصر، مطبعة النجاح، 1324هـ.

(3) الجعيري، فرحات: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية، تونس، المطبعة العصرية، 1975م.

(4) المرآغي، أحمد مصطفى: تفسير المرآغي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1946م.

(5) بابا حمو، إبراهيم بن صالح: غصن البان في تاريخ وارجلان، تحقيق: إبراهيم بن بكر - سليمان بو معقل، غرداية، المطبعة العالمية، 2013م.

(6) خليفات، عوض: النظم الاجتماعية والتربوية في أفريقية، د.م، دار مجدلوي، 1980م.

(7) سعيد، يوسف الحاج: تاريخ الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي، غرداية، المطبعة العربية، 2016م.

(8) عبد الرازق، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1985م.

(9) عدون، جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، الجزائر، جمعية التراث، د.ت.

(10) عمر، سليمان بو عصانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، الجزائر، دار نزهة الأبواب، 2013م.

(11) قشار، بلحاج بن عدون: بحوث ومحاضرات في الدين والحياة، د.م، دن، د.ت.

(12) كوردي، محمود حسين: الحياة العلمية في جبل نفوسة، د.م، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008م.

(13) ليفيتسكي، تاديوس: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر وريما جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000م.

(14) مزهودي، مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط، غرداية، المطبعة العربية، 1996م.

(15) معمر، علي يحيى: الإباضية في موكب التاريخ، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1964م.